بنت الواسطى

بنت الواسطى

هـى الشـيخة ، الصـالحة ، العابـدة ، المسـندة ، المعمّـرِة " أمـة الرحمن ، ست الفقهاء ، بنت الإمام " تقى الدين إبراهيم بن على ابن أحمد بن فضل بن الواسطى " ، الصالحية ، الحنبلية .

ولدت تقريباً فى سنة ثلاث وثلاثين للهجرة النبوية الكريمة وسمعت من إبراهيم بن خليل ، وغيره ، وسماعها قليل ، لكن لها إجازات عالية من " جعفر الهمدانى " ، وأحمد بن المعز الحرَّانى وعبدالحميد بن بنيمان ، وعبداللطيف بن القبَّيطى وطبقتهم " وروت الكثير " وسمعوا منها –رحمها الله تعالى سنن إبن ماجه – وعلوم أخرى [1] .

ويذكرها صاحب أعلام النساء فيقول : " هى ست الفقهاء بنت إبراهيم بن على بن أحمد الواسطى الصالحية ، وكانت محدثة فاضلة .

ولدت سنة ٦٣٢هـ سنة إثنين وثلاثين وستمائة وأجاز لها "جعفر ابن على الهمدانى " ، وعبدالطيف القبَّيطى وأحمد بن العز الحرَّانى ، وآخرون وسمع عليها مسند " موسى بن جعفر بن محمد " وجزء فيه فوائد " حسَّان لأبى محمد الرهاوى ، وقصيدة من إنشاء "الحافظ السلفى " والجزء الأول من حديث " عبدالله بن محمد حبَّان " وفوائد أبى على عبدالرحمن بن محمد النيسابورى بإجازتها من " جعفر بن على بن هتشة الله الهمدانى " وحديث أبى منصور الخوجانى بإجازتها من " جعفر أبى

(1) أسير أعلام النبلاء / للذهبى جـ١٣ صـ ٤٢٢ ط دار الفكر .

منصور الخوجانى " ، وحديث " حبيب الأنصارى " ، "وخزيم الطائى " بإجازتها من " عبدالعزيز" ، وجزء من كرامات الأولياء " للحسن الخلَّال " وذلك بإجازتها من " ابن العليق " والجزء الثالث من سند " سعد بن أبى وقاص – رضى الله عنه – وذلك بإجازتها من جعفر الحضرى ، وجزء فيه فوائد منتخبة من حديث " إسماعيل بين محمد الصفَّار " وجزء فيه حكايات عن الشافعى وغيره ، وستة مجالس من أمالى البخترى وجزء محمد الرافقى وكتاب " الفرج بعد الشدة " وحديث " أبى بكر محمد بن عبدالله الأبهرى" بإجازتها من " كريمة ، وقرىء عليها " أمالى محمد بن مخلد العطار " وذلك بإجازتها من " عبداللطيف القبيطى ، وخرَّج عنها كتاب " بغية الملتمس " فى تساعيات " حديث مالك بين أنس " تخريج صلاح الدين العلائى [1] .

فمن هذه السيرة العطرة التى تبيح بعبير علمها الفوَّاح ، وذكائها المفرط ، وغزارة علمها ، وأنها كانت تضرب بسهم وآخر فى العلوم والمعارف مما يدل على ورعها ، وزهدها ، وصلاحها ، وتقواها وصدق الله تعالى إذ يقول : " واتقوا الله ويعلمكم الله " كما انها تعد قدوة حسنة ، صالحة لنسائنا ، وفتياتنا فى التعبد ، وتحصيل العلوم والمعارف ، كما أن سيرتها الذكية تدعو طلاب وطالبات العلم إلى المثابرة ، والاجتهاد ، والجهاد فى سبيل تحصيل العلم ، فإن العلم نور ونور الله لا يهدى لعاصى .

---

(1) أعلام النساء / جـ٢ صـ١٦١ وما بعدها .

سألت وكيع سوء حفظى فأرشدنى إلى ترك المعاصى
وأخبرنى بأن العلم نور ونور الله لا يهدى لعاصى

وتوفيت رحمها الله تعالى فى ربيع الآخر سنة ست وعشرين وسبعمائة ولها من العمر اثنتان وتسعون سنة [١] .

وفى مرآة الجنان يذكرها " اليافعى " ، فيقول : " ماتت المعمرَة أمة الرحمن ، ست الفقهاء بنت الشيخ " تقى الدين إبراهيم الواسطى " بالصالحية سنة ست وعشرين وسبعمائة عن ثلاث وتسعون سنة وكانت مباركة صالحة ، وهى والدة " فاطمة بنت الدبَّاسى " [٢] أما صاحب أعلام النساء فيقول : " وتوفيت بدمشق سنة سبعمائة وست وستين للهجرة والأول أصح وأرجح وأن وفاتها كانت فى ربيع الآخر سنة ست وعشرين وسبعمائة رحمها الله تعالى ..

(1) السيرة " مرجع سابق " ، صـ ٤٩٢ .

(2) مرآة الجنان وعيرة اليقظان / اليافعى جـ٤ صـ٢٠٧ ، دار الكتب العلمية – لبنان .
الصبر فى خبر من غبر / للذهبى جـ٤ صـ٧٧ ، والوافى بالوفيات جـ١٥ صـ١١٧ .
ومعجم الشيوخ رقم ٣١٨ والمعين ٢٣٥ .

عائشة بنت
عبد الله بن عاصم الأندلسية

عائشة بنت
عبد الله بن عاصم الأندلسية

هى الزاهدة ، والورعة التقية ، والمؤمنة النقية ، عائشة بنت عبدالله بن عاصم الأندلسية ، والتى مكثت عشرين سنة أو أكثر من ذلك لا تأكل شيئاً البتة ، وأمرها فى ذلك شائع لا ريب فيه ، وهى خالة القائد " أبى إسحاق بن بلال " ، وكانت " عائشة الأندلسية " مقيمة بغرفة لها بأعلى الجامع المعلق بالجزيرة الخضراء بالأندلس ، وذكر الشيخ " عزالدين الفارونى " أن امرأة كانت بناحية " وساط " أقامت مدة مثل " عائشة الأندلسية " ، لا تأكل شيئاً ، وذلك بعد الستمائة ، كما كانت هناك امرأة أخرى فى دولة " المعتضد " نجوارزم " .

وأنها كانت لا تأكل شيئاً ، وذكر قصتها " الحاكم " فى تاريخ نيسابور ، وتوفيت عائشة الأندلسية رحمها الله تعالى سنة سبعمائة وخمسة [1] .

ولا غرو فى قصة هذه المرأة " عائشة بنت عاصم الأندلسية " ومثيلاتها من الزاهدات حيث إن الزهد ، والورع ، والتقوى ، تورث القناعة ، وتقى المسلم شرَّ البطنة ، فذلك الغذاء غذاء روحى ، وصدق الله تعالى إذ يقول : " وهو الذى يطعمنى ويسقين " فالطعام الحقيقى والغذاء الحقيقى ، هو الغذاء الروحى ، وذلك يكون على قدر درجة العبد من

(1) الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة / لابن حجر العسقلانى جـ٢ صـ١٤٤ .

الصلاح ، والإيمان ، والورع ، والتقوى ، ودليل ذلك قول النبى – صلى الله عليه وسلم– : " ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يقمن بهن صلبه فإن كان ولابدَّ فاعلاً فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه فالغذاء الحقيقى للمسلم هو غذاء الروح ، ومتى شبعت الروح استغنت بذلك عن كل ألوان الأطعمة .

ندعو الله أن يرزقنا العفاف والتقوى ، والقناعة وغذاء الروح فهو نعم الغذاء .

ابنة أبى الحسن المكى

ابنة أبى الحسن المكى

كان لأبى الحسن المكى – رحمه الله تعالى– ابنة مقيمة "بمكة المكرمة – وكانت زاهدة ، ورعة ، تقية ، بل يروى أنها كانت أشد ورعاً منه ، وكانت –رحمها الله تعالى– لا تقتات إلا ثلاثين درهماً ينفذها إليها أبوها فى كل عام مرة واحدة ، وهذا المبلغ من المال كان يدخره من ثمن الخوص الذى يصنعه ، ويبيعه ، ويروى لنا – ابن الروَّاس " فيقول : " جئت أودع " أبا الحسن المكى " للحج ، واستعرض حاجته ، وأسأله أن يعو لى فسلم المكى إلىّ قرطاساً وقال : " تسأل " بمكة " عن الموضع الفلانى ، عن فلانة وتسلم هذا إليها فعلمت أنها ابنته [1] .

فأخذت القرطاس وجئت فسألت عنها فوجدتها مشغولة بالعبادة والزهد ، ووجدتها بالعبادة والزهد أشد اشتهاراً من أن أتخفى يعنى حين ذهب ليسأل عنها ، وكان يظن أنه سيجد عناءً وتعباً شديدين فى التعرف عليها ، والوصول إليها ، ولكن خاب ظنه ، فوجدها مشهورة بين الناس بالزهد ، والورع ، والتقوى بحيث لم تكن خافية على أحد ولم يجد عناءً ، ولا تعباً فى الوصول إليها ، فتتبعت نفسى أن يضل إليها شىء من مالى يكون لى ثوابه ، يعنى أراد أن يدفع لها شيئاً من ماله الخاص زيادة على ما أرسله لها أبوها ، وعلمت إننى إن دفعت لها ذاك لم تأخذه ، ففتحت القرطاس وجعلت الثلاثين درهماً "خمسين" درهماً ورددته كما كان ،

(1) صفة الصفوة / جـ صـ٤٤٨ بتصرف .

وسلمته إليها فقالت –رحمها الله تعالى– أى شىء خبَّر أبى ، فقلت : سلامة ، فقالت : قد خالط أهل الدنيا ، وترك الانقطاع إلى الله تعالى ؟ فقلت لها : أسألك بالله ، وبمن حججت إليه عن شىء فتصدّقنى ؟ يعنى تريد أن تقول له : أسألك بالله إن سألتك عن شىء تقول لى الصدق والحق ، فقال لها الرجل : نعم فقالت له : خلطت بهذه الدراهم شيئاً من عندك ؟ فقلت لها : نعم ولكن من أين علمت بهذا ؟ فقالت له : ما كان أبى يزيدنى على الثلاثين درهماً شيئاً لأن حاله لا يحتمل أكثر منها إلا أن يكون ترك العبادة فلو أخبرتنى بذلك ما أخذت منه أيضاً شيئاً وهى تريد أن تقول : إن كان هذا المبلغ الذى أرسله زيادة لى يكون سبباً فى شغل أبى عن العبادة ، فأنا فى غنية عنه ولا آخذ شيئاً منه البتة لأنه حين آخذ هذا المبلغ ويشغل أبى عن عبادة الله ، والانقطاع إليه ، والتبتل يكون ذلك عقوقاً منى لأبى ، ثم قالت للرجل خذ الجميع فقد عققتنى من حيث قدرت أنك تبرَّنى ، فقلت ولِمَ ؟ فقالت إبنة المكى ألا آكل شيئاً ليس هو من كسبى ، ولا كسب أبى ، ولا آخذ من مالٍ لا أعرف كيف هو شيئاً ، ورفضت أن تأخذ منه المبلغ الذى وضعه على الثلاثين درهماً ، وذلك غاية فى الزهد ، والورع ، والتقوى والحرص على تحرّى الحلال .

فقلت لها : خذى منها الثلاثين درهماً ، والتى أرسلها إليك أبوك وردى علىَّ الباقى ، فقالت : لو عرفتها بعينها من جملة الدراهم لأخذتها ولكن قد اختلطت بما لا أعرف جهته ، فلا آخذ منها شيئاً ، وأنا الآن أقتات إلى الموسم الآخر يعنى إلى السنة القادمة المزابل لأن هذه كانت

قوتى تلك السنة ، فقد أجعتنى أى جعلتنى أجوع إلى العام القادم ، ولولا انك ما قصدت إذائى لدعوت عليك فانظر إلى هذه المرأة الزاهدة ، الورعة ، التقية والتى رفضت أن تأخذ شيئاً من الخمسين درهماً ، ولها فى هذا المال ثلاثين درهماً ، والتى أرسلها إليها أبوها ، محتجة بأن العشرين درهماً التى أضافها الرجل إلى المبلغ الذى أرسله إليها أبوها لا تستطيع عزلها من الثلاثين درهماً وذلك غاية فى تحرّى الحلال ، وعزمت على أن تعيش السنة كلها على ما تجده من الطعام فى أكوام الزبالة ، ثم قالت له : بهذا العمل ، وذلك التصرف قد أجعتنى العام كله

بحق هذه امرأة صالحة ، وقدوة حسنة ، بل هى عملة نادرة خاصة فى هذا العصر الأنكد الذى لا يستريح فيه جلّ الناس ومعظمهم إلا إذا أكلوا حراماً .

قال الرجل : فاغتممت ، وعدت إلى البصرة ، وجئت إلى أبى الحسن ، وأخبرته ، واعتذرت إليه وقال لى : لا آخذها وقد اختلطت بغير مالى ، وقد عققتنى وإيَّاها ، قال : فقلت له : فما أعمل بالدراهم ؟ قال لى : لا أدرى ، فمازالت مدة أعتذر إليه ، وأسأله : ما أعمل بالدراهم ؟ فقال لى بعد مدة : تصدق بها ففعلت [1] .

فانظر أخى المسلم ، وأختى المسلمة إلى الرجل حيث رفض أن يسترد الدراهم من الرجل حيث أنها اختلطت بمال غيره ولا يدرى من أين اكتسب هذا الرجل الدراهم من حلال أم من حرام فكان صنيعه هذا شبيهاً

(1) ذاته صـ ٤٤٨ .

بصنيع ابنته ، ولا نستطيع أن نقول إلا ما قاله العربى فى أمثاله " العصا من العصيَّة " والتشبيه مع الفارق الكبير وحسنا قول النبى –صلى الله عليه وسلم– : " الحلال بيّن والحرام بين " ندعو الله –عز وجل– أن يرزقنا من حلال ، وأن يجعل طعامنا طيباً ، وعملنا مقبولاً.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

آمنة الرَّمليَّة

آمنة الرَّمليَّة

وهى عابدة من عابدات القرن الثالث للهجرة النبوية الكريمة وكانت هذه العابدة منقطعة للعبادة ، والتّبتّل فكان أكثر زهاد زمانها يترددون عليها ، ويتبركون بها . فدخل عليها يوماً بعض العباد يزورونها ، فقالت لهم : ما شأنكم ؟ قالوا لها : نسألك الدعاء . فقالت : لو أن الخاطبين خرسوا ما تكلمت عجوزكم من البكم ، ولكن الدعاء سنة ، ثم قالت : " جعل الله قِراكم من بيتى الجنة ، وجعل ذكر الموت بينى وبينكم على بال ، وحفظ علينا الإيمان وهو أرحم الراحمين[1] فانظر أيها الأخ المسلم إلى هذه العابدة الرملية حين سألها الناس الدعاء فقالت إن الدعاء سنة ثم نراها تقول : جعل الله ضيافتكم من بيتى الجنة وجعل ذكر الموت بينى وبينكم على بال أى فى تذكر دائم للموت ، وهو هازم اللذات ، ومفرق الجماعات وحفظ الله علينا الإيمان وهو أرحم الراحمين .

فإن دلَّ هذا الدعاء على شىء إنما يدل على الزهد فى الدنيا والورع ، والتقوى وخشية الله –عز وجل– وهذا الأمر ، وذلك الشأن ديدن العبَّاد جميعاً وهو الاتجاه إلى الله بكليتهم ، والفناء فى حبه –عزل وجل– والعمل على طاعته وخشيته –سبحانه وتعالى– ويروى أن "بشر بن الحارث الحافى" مرض فقد ذهبت إليه "آمنة" من "الرَّملة" لتعوده فى مرضه فبينما هى عنده إذ دخل الإمام " أحمد بن حنبل " يعود " بشر بن

(1) أعلام النساء / جـ صـ١٠ ، ولواقح الأنوار فى طبقات الأخيار للشعرانى .

الحارث " ويسأل عنه ، فقال الإمام " أحمد بن حنبل " مَنْ هذه ؟ فقال له : بشر بن الحارث : هذه " آمنه الرملية " بلغها علَّتى ومرضى فجاءت من " الرملة " تعودنى – فقال له " الإمام " أحمد بن حنبل " فسلها تدعوا لنا – وفى رواية أخرى " فأرسلها تدعوا لنا فقالت " آمنة الرملية " : " اللهم إن " بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل "يستجيرانك من لنار ، فأجرهما " [1] .

فانظر هداك الله إلى هذه المرأة التى بلغت من الزهد والورع ، والتقوى ما يرفعها إلى هذه الدرجة وهى أن يسألها الإمام " أحمد بن حنبل " الدعاء لهم ، فإذا بالمرأة الصالحة تقول فى أدب وحياء كبيرين " اللهم إن " بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل " يستجيرانك من لنار ، فأجرهما " ، فهو دعاء محبب إلى النفس ، ودليل على خشيتهم لله –عز وجل– وخوفهم من نارة ، وطمعهم فى جنته ، وهذا ديدن العبَّاد ، وطبع الزَّهّاد ، وأمل المتقين ، فلقد كانت " رابعة العدوية " تقول : "والله ما عبدته طمعاً فى جنته ، ولا خوفاً من ناره ، وإنما عبدته شوقاً إليه ، وكل الزهاد فى هذا الأمر " رابعة " وتقول فى ذلك الأمر :

أحبك حبين حبَّ الهوى وحب لأنك أهل لذلك

(1) الدنيا للصالحات من النساء / ليوسف بن عبدالهادى ، وصفة الصفوة لابن الجوزى . بتصرف .

أمة الجليل
بنت عمرو العدوية

أمة الجليل
بنت عمرو العدوية

كانت " أمة الجليل بنت عمرو العدوية " عابدة من عابدات "البصرة " ، وزاهدة من زاهداتها كانت تأكل الخبز وحده وتقول : " ما انشرح إلا بدخول الليل كله " . وتقول أيضاً : إذا جاء السحر دخل قلبى الروح ، وحدَّث أبو عاصم أنه : اختلف العابدون فى الولاية فقال بعضهم : " إذا استحقها عبد لم يهتم بشىء إلا ناله فى دين كان أو دنيا ويقول آخر : " الولى لا يعصى غير أنه لا يدرك الشىء الذى لا يريده من الدنيا ليهمه ، ولا يدركه إلا بطلبه كأنهم يقولون : ندعوا فنجاب وقال آخرون : " المستحق للولاية لا يعرض لانتقاص حظه من الآخرة فتكلموا فى ذلك بكلام كثير فأجمعوا على أن يأتوا امرأة من بنى عدىّ يقال لها : " أمة الجليل بنت عمرو العدوية " وكانت منقطعة جداً من طول الاجتهاد فأتوها فاستأذنوا عليها فأذنت فعرضوا عليها اختلافهم وما قالوا . فقالت : " ساعات الولىّ ساعات عن الدنيا ، ليس للولى فى الدنيا من حاجة [1] .

فانظر أخى المسلم إلى هذه العابدة البصرية ، والزاهدة النقيَّة والتى عاشت تأكل الخبز وحده لا شىء معه من إدام ، ولا طعام غيره، وكانت تفرح ، وينشرح صدرها بدخول الليل لتمتع نفسها ، وقلبها ،

(1) أعلام النساء / جـ صـ٨٢ وما بعدها ، وصفوة الصفوة / لابن الجوزى ولواقح الأنوار فى طبقات الأخيار / للشعرانى .

وروحها بالعبادة والذكر ، والاستغفار ، وتخلو بربها بعيداً عن ضوضاء الناس وعجيج الكون وبذلك تكون فى راحة وأنس فى خلوتها حيث الصَّفاء ، وطهارة القلب ، وإعماره بذكر الله حيث الهدوء النفسى، يقول تعالى :

"... أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ " (١) .

وحين اختلف العبَّاد فى الولاية وذهبوا فيها كل مذهب فأجمعوا على أن يحجوا إليها ، والاستماع إلى رأيها فقالت لهم : ساعات الولىّ هى ساعات عن الدنيا ، وليس للولى فى الدنيا من حاجه فاستراحوا لرأيها ، واطمأنوا لقولها فإن الولىّ لا مطمع له فى الدنيا ، إنما طمعه وطموحاته ، وآماله أن يفوز بالدار الآخرة ، وهذا الأمر ديدن العبَّاد وهجّيراهم ، وطبعهم ، وسجاياهم ، فقد روى أن رجلاً سأل " الحلاَّج " قائلاً : أريد الوصول إلى الله تعالى فقال له : الحلاَّج : بينك وبين الله خطوتين :

الأولى : أن تضرب بالدنيا وجه عشاقها .

والثانية : أن تسلم الامور لأربابها .

لا تدبّر لك أمراً ... فألوا التدبير هلكا

سلّم الأمر إلينا ... نحن أولى بك منك

(1) سورة الرعد : من الآية ٢٨.

خنساء بنت خَدَّام

خنساء بنت خَدَّام

هى العابدة ، الزاهدة ، الورعة ، التقية " خنساء بنت خدام " ، وليست صحابيَّة ، يروى لنا حفص بن عمرو الجعفى . فيقول : "كانت " باليمن " امرأة من العرب جليلة ، جمهورية حسناً وجمالاً كأنها بدنة، يقال لها : " خنساء بنت خدَّام " ، فصامت أربعين عاماً حتى لصق جلدها بعظمها ، وبكت حتى ذهبت عيناها من كثرة البكاء ، وقامت الليل مصلية ، وعابدة حتى أقعدت من رجليها وكان " طاووس ، ووهب بن منبه " يعظمان قدرها ، وكانت " خنساء بنت خدَّام " إذا جنَّ عليها الليل ، وهدأت العيون ، وسكنت الحركات تنادى بصوت حزين لها فتقول : " يا حبيب المطيعين ، إلى كم تحبس خدود المطيعين فى التراب ، ابعثهم حتى ينجزوا موعدك الصادق الذى أتعبوا له أنفسهم ثم أنصبوها ، قال : فيسمع البكاء مَنْ بالدور حولها [1] .

فهذه امرأة عابدة ، ورعة ، صادقة ، فقد كان إذا جنَّ عليها الليل ، وأسدل أستاره ، ونام الكون ، ولجأ الناس إلى مضاجعهم ، قامت تصلى الليل كله ، ثم نراها تتساءل قائلة : " يا حبيب المطيعين ، وتقصد الله –عز وجل– إلى كم ، وإلى متى تحبسنا فى التراب وتجعلنا رهن القبور ، وكأن المرأة تستعجل الخروج من القبر ، والنفخ فى الصور ، والخروج من الحياة البرزخية لتحظى هى والعبَّاد من أمثالها بوعد الله

(1) صفة الصفوة / جـ صـ ٤٦١ .

الصادق ، والفوز بنعيم الجنة جزاء ما قدمت من عمل صالح حيث وعده الحق للطائعين بالثواب الجزيل ، وقد كانت " خنساء بنت خدَّام " تبكى بكاءً مرًّا ، وتنتحب انتحاباً شديداً خشية من الله –عز وجل– حتى كان يسمع بكاءها مَنْ بالمنازل حولها وذلك الأمر كان ديدن العبَّاد ، وطبع الزهَّاد ، وخلق المتبتلين الذين يعملون حساب الآخرة ، ولقاء الله –عز وجل– وكأنها وعت ، وفهمت ، وفطنت إلى قول بهلول المجنون :

يـا مـن تمتـع بالـدنيا وزينتهـا ولا تنـام عـن اللـذَّات عينـاه
أفنيـت عمـرك فيمـا لسـت تدركـه تقـول لله مـاذا حـين تلقـاه

يرحمها الله تعالى

سَـوِيَّـة

سَوِيَّة

وهذه عابدة أخرى ، زاهدة ، ورعة ، نقيَّة ، تخشى الله –عز وجل– تدعى " سوية " فعن أبى هشام يقول : " قدمت علينا امرأة من أهل اليمن يقال لها : "سوية " فنزلت فى بعض ديارنا فكنت أسمع لها من الليل نحيباً ، وشهيقاً ، فقلت للجارية أشرفى على هذه المرأة فانظرى ما تصنع ؟ فإذا هى قائمة مستقبلة القبلة ، رافعة رأسها إلى السماء ، فقلت : " ماتصنع ؟ قالت : ما أراها تصنع شيئاً غير أنها لا ترد طرفها عن السماء فقلت : " اسمعى ما تقول فقالت : لا أفهم كثيراً من قولها غير أنى أسمعها تقول : " أراك خلقت " سوية " من طينة لازبة غمرتها بنعمتك تغذوها من حال إلى حال ، وكل أحوالك لها حسنة ، وكل بلائك عندها جميل ، وهى مع ذلك متعرضة لسخطك بالتوثب على معاصيك فلتة فى إثر فلتة أترى أنها تظن أنها لا ترى سوء فعالها ؟ بلى وأنت على كل شىء قدير .

ثم صرخت وسقطت ، ونزلت الجارية فأخبرتنى بسقطتها ، فلما أصبحنا نظرنا فإذا هى قد ماتت [1] .

أرأيت هذه المرأة العابدة ، السوية " سورية " القانتة الخاشعة ، الخائفة من لقاء ربها–عز وجل–

(1) ذاته صـ٤٦١ .

حيث كان من يجاورها يسمع نحيبها ، وبكائها الشديد ، وشهيقها الذى يدل على خوفها الشديد من الله –عز وجل– حيث كانت ترفع رأسها إلى السماء ضارعة ، وراجية ضارعة لله ، وراجية ثوابه ، وحسن مغفرته ، فتناجيه قائلة : يارب . خلقت " سوية " من طين لازب ، ثم غمرتها بنعمك ، وأغرقتها بفضلك ، وكل أحوالك لها حسنة، وكل بلائك عندها جميل ، وهذا يدل دلالة حاسمة على أنها راضية بالقضاء والقدر خيره وشره ، حلوه ومرّه ، تنشد الآخرة وثوابها ، والجنة ونعيمها ثم تعترف المرأة ، وتؤمن إيماناً صادقاً بأنها مع هذه العبادة كلها ، والانقطاع إلى الله –عز وجل– تقرّ بأنها مع هذا كله متعرضة لغضب الله –عز وجل– وذلك لمعصية تعصيها ، أو فلتة من الفلتات التى يرتكبها المسلم فى لحظة من لحظات الضعف ، وإغراء الشيطان ووسوسته ، وهى تظن بالله ظناً حسناً فهو على كل شيء قدير ، وبأفعال عباده بصير .

وبعد هذه المناجاة بينها وبين ربها –سبحانه وتعالى– نراها تصرخ ، وتسقط على الأرض ، وتفيض روحها إلى بارئها وهى تناجيه بهذه الكلمات آنفة الذكر ، فيالها من حسن خاتمة للعابدة الزاهدة، السوية " سوية " .

يرحمها الله تعالى ..

عابدة مجهولة الاسم

عابدة مجهولة الاسم

وهذه عابدة أخرى ، عاشت فى زمن ، جبَّار الجاهلية ، وعملاق الإسلام " عمر بن الخطاب – رضى الله عنه– وهذه المرأة تعد أنموذجاً حياً ، وطرازاً فريداً ، وقدوة حسنة للمرأة المسلمة فى كل عصر من الأعصر ، وزمن من الأزمنة وخاصة فى هذا العصر الأنكد الذى تخلت المرأة فيه عن واجباتها الإسلامية ، فغشيت الأندية ، والأماكن العامة ، واختلطت بالرّجل اختلاطاً ينقص من قدرها ويقلل من شأنها ، بل ويهدر كرامتها أحياناً .

فهذه المرأة التى عاشت فى زمن الخليفة العادل " عمر بن الخطاب –رضى الله عنه– يروى لنا عنها " عبدالله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جاره أسلم " فيقول : " بينما أنا مع " عمر بن الخطاب –رضى الله عنه– وهو يعسُّ المدينة يعنى يطوفها ليقف على أحوال الرعية حيث أنه مسئول عنها ، إذا أصيب بالإعياء والتعب فاتكأ على جانب جدار فى جوف الليل ، وإذا امرأة تقول لابنتها يا ابنتى قومى إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء أى اخلطيه بالماء حتى يكون كثيراً ، وغزيراً وفيراً لنجنى من وراء ذلك ربحاً كبيراً ، فقالت لها : يا أماه وما علمت ما كان من عزمه أمير المؤمنين اليوم ؟ قالت المرأة : وما كان من عزمته يا بنيَّة قالت : إنه أمر منادياً فنادى ألا يشاب اللبن بالماء يعنى لا يخلط اللبن بالماء فإن ذلك غشّ وحرام ، فقالت لها : يا بنيَّة قومى إلى اللبن فامذقيه بالماء فإنك بموضع لا يراك " عمر " ولا منادى " عمر " فقالت

الصبيَّة لأمها " يا أماه ما كنت لأطيعه فى الملأ وأعصيه فى الخلاء " [1] .

وعمر بن الخطاب –رضى الله عنه– يسمع كل ذلك الحوار والذى دار بين المرأة وابنتها ، فقال –رضى الله عنه– : يا أسلم عِلّم اللباب ، أى ضع عليه علامة حتى إذا ما عاد إليه مرَّه ثانية عرفه ، واعرف الموضع ، ثم مضى –رضى الله عنه– فى مهمته وهى العسس حتى أصبح فلما أصبح –رضى الله عنه– قال : يا أسلم امض إلى الموضع فانظر مَنْ القائلة ، ومَنْ المقول لها وهل لهم من بعل ؟ فأتيت الموضع فنظرت فإذا الجارية " أيِّم " يعنى لا زوج لها ، والتى طلبت منها أن تغش اللبن هى أمها ، وليس لهم رجل ، فأتيت –عمر بن الخطاب – رضى الله تعالى عنه– فأخبرته بذلك فدعا "عمر" ولده فجمعهم يعنى جمع أبناءه كلهم ، ثم قال لهم هل فيكم من يحتاج إلى امرأة فأزوجه ، ولو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه منكم أحد إلى هذه المرأة ، فقال "عبدالله" لى زوجة ؟ وقال : عبدالرحمن : لى زوجة ، وقال عاصم : يا أبتاه لا زوجة لى فزوجنى ، فبعث إلى الجارية فزوجها من "عاصم" فولدت "لعاصم" بنتاً وولدت البنت بنتاً ، وولدت الإبنة " عمر بن عبدالعزيز " ويروى أنها ولدت "لعاصم" بنتاً ، وولدت البنت " عمر بن عبدالعزيز " كذلك نسبه العلماء [1] .

---

(1) صفة الصفوة / ط صـ ٤٠٩ وما بعدها .

(1) ذاته صـ ٤١٠ .

أرأيت علام اختار "عمر بن الخطاب –رضى الله عنه– الفتاة التى يزوجها لابنه "عاصم" ؟

إنه اختار الدين ، وذلك منظور إسلامى ، وهو قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم– :

" فاظفر بذات الدين تربت يداك " أى التصقت بالتراب وهو كناية عن الفقر . فكان زواج "عاصم" من هذه الزوجة المسلمة ، زواجاً مباركاً تشمله الأمانة ويحيط به الخلق وتغمره السعادة ، سعادة الإيمان ، والإخلاص ، فقد كانت هذه الفتاة صادقة الإيمان حيث واجهت أمها بمقولة ملؤها الإيمان ، والخشوع ، والخوف من الله –عز وجل– حيث قالت لأمها : " ما كنت لأطيعه فى الملأ وأعصيه فى الخلاء ، وذلك رداً على الأم التى حاولت إقناع إبنتها بأن "عمر" لا يراها ، ولا حتى منادى "عمر" فأقنعتها بأنه إذا كان "عمر" ومنادى "عمر" لا يرانى، ربَّ "عمر" يرانى ، وذلك منتهى الصدق فى الإيمان، وتحرّى الحلال ، وتلك درجة راقية فى الإيمان بالله ، ومقام عظيم وهو مقام الإحسان حين سأل جبريل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقال له : " ما الإحسان ، ثم كانت الإجابة : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " .

ولذلك كافأها "عمر" –رضى الله عنه– وإن شئت فقل : كانت المكافأة من الله –عز وجل– بأنه فيض لها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب –رضى الله عنه– فجمع أولاده وعرض عليهم الاقتران بها ، فاعتذر الأول والثانى على أن لكل واحد منهما زوجة ثم انبرى "عاصم"

وصارح أباه بأنه لا زوج لى فزوجنى إيَّاها ، فتزوجها "عاصم" وأنجبت له بنتاً ، وأنجبت البنت بنتاً وتزوجت وولدت الخليفة العادل ، أمير المؤمنين "عمر بن عبدالعزيز" خامس خلفاء بنى أمية ، ويترضّى عنه لأنه نهج نهج الخلفاء الراشدين فى العدل ، والأمانة ، والخلق ، وخشية الله –عز وجل– .

وانظر إلى مقولة "عمر بن الخطاب –رضى الله عنه– حيث قال لأبنائه تذكية للفتاة المسلمة ، الخاشعة ، الأمينة "لوكان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبق منكم أحد إلى هذه المرأة "

وتلك تذكية لهذه الفتاة المسلمة ، من "عمر بن الخطاب –رضى الله عنه– ولعل ذلك الأمر رغّب فيها "عاصماً " .

ومقولة أمير المؤمنين –رضى الله عنه– آنفة الذكر تعنى ألوان فيه بقية من جماع ما سبقة إليها أحد ، ومعنى ذلك أن المرأة الصالحة كفأ لأن يتزوجها رئيس الدولة فإن "عمر –رضى الله عنه– كان رئيساً للدولة الإسلامية يومذاك كما أن العالم كفء لبنت السلطان تكريما لعلمه ، فالعلم يرفع كفاءته ، ويعلى قدرته حتى جعله العلم كفء لأن يخطب بنت السلطان ، فانظر أخى المسلم ، وأختى المسلمة إلى الصلاح والتقوى ، والعلم ، كيف يرفع العبد من الثرى إلى الثريَّا ومن الحضيض إلى السماك الأعزل ، وصدق الشاعر إذ يقول :

العلم يرفع بيوتاً لا عماد لها والجهل يهدم بيوت العز والكرم

وحسبى قول أبى العتاهية :

وإذا تناسبت الرمال فما أرى نسباً يقاس بصالح الأعمال
وإذا التقى الله امرؤ وأطاعه فيداه بين مكارم ومعالى
وعلى التَّقى إذا ترسخ فى التُّقى تاجان تاج سكينة وجلال